على رمال الساحل

أيهـا الساحل يا أول أمـرى ... إعطنى الوحى الذى يشرح صدرى
هل لمن ربيتـه معنى جـديد ... لم يقـله الناس فى شعر ونثر
رائع من ثغـرك الرائـع مغر ... من محياك الذى يسبى ويغرى
ليت شعرى لم عقـلى فيـك خابٍ ... أنت يا منبـع إلهـامى وشعرى ؟
أى روح قدسى ، أى معـنى ... عبقـرى ، أى خبء ، أى سر
حيثما أهتف تجبـنى هاتفـات ... عن يمينى أو شمالى أو بإثرى
فاذا وليت وجهى كى أراهـا ... هتفت خلفى وكان الأفق شـطرى
ليت لى عينين فى أذنىَّ حـتى ... أشهـد التهتـاف من ثغر لثغر
ما ترانى شـاهداً إذ ذاك عرسـا ... أم مشاراً عبقريا ؟ لست أدرى
لـكأنى بالرمال البيض شبِّعـ ... ـن بضـوء ثم روين بسحر
كلمـا البحر أتاهـا كاشـفاً عن ... ألف ليـل كشفت عن ألف فجر
سـطرتها الريح فى فن عجـاب ... فبـدت ثمـة سطراً خلف سطر
ضحـكات البحر موجـات حسان ... تزحم الأفـق وهذا ضحك بر
مثلما الخـلان قاما يذكران النـ ... ـادر المحـكى فى لهو وبشر
وكأن الرمل إذ مالت ذكـاء ... فضـة بيضاء قد شيبت بتـبر
ثم مـالت فهـو لألاء بهـىٌّ ... يا لعينى فى سـناه يالفـكرى
أى أيد قدسـيات قد أراقت ... ذوب شمس نضرة فى كل شبر

وحدت فوق سماء الغرب مزنا ... منقلات لا بماء بل بخمر
لامستها الريح فى رفق فرفت ... كرفيف الطير لكن أى طير
والصخور الصم تبدو من بعيد ... فى طيوف من قنو الشمس حمر
هبطت فيها ذكاء فاقشعرت ... عن ضياء قرمزى مقشعر
فكأن القلعة الشماء جن ... ملهب يسبح فى جدول جمر
شفة الساحل لاحت دون عبر ... ولهاة الأفق لاحت خلف عبر
والشراع انساب فى يم منير ... كوكباً ينساب فى عرض المجر
خفقت أنفاس ريح الشرق فيه ... فمضى يجرى إلى الغرب ويجرى
فتن الماضى وما يأتى تلاقت ... حول خدر الشمس من دهر ودهر
راقصات دائرات مطرقات ... شاخصات باسمات حيث تسرى
مسرح ألقى عليه الليل ستراً ... من ظلام ثم ثناه بستر

محمود ادريس قمر